10 me Année No. 485

Lundi - 19 - 10 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٨٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـرس

صفحة

أفعالهم من أمثالهم

للأستاذ عباس محمود العقاد

من مؤلف الأمثال ؟

تلك الآيات القصار من موجز البلاغة من صائغها ومنتقى ألفاظها ومودع الحكمة فى خلالها ؟

إنها أسلوب غير أسلوب الفرد فى كلامه ، ولكن الأمم لا تجتمع للتأليف والصياغة فيقال إنها من تأليف أمة فى أجيالها المتعاقبة . وهى بلا ريب لم تؤلف نفسها ولم تكن قولاً بغير قائل . فأصدق ما يقال فيها أنها كلام فرد صقلته الأمم جيلاً بعد جيل ، وأنها وحى الإنسانية أجرته على بعض الألسنة وتعهدته بعد ذلك بالتنقيح والمراجعة . فليست هى لغة فرد ولا صياغة أمة ، ولكنها مساهمة من كل بما يستطيع فيها . فالفرد يستطيع أن يصوغ الكلام ، والأمة تستطيع أن تقبل وترفض حتى يستقيم لها القول على ما تحب ، ومن هذا وذاك تتجمع الأمثال

وقد اتفق فى أمثال الأمم أمران عجيبان كأنهما متناقضان لا يتفقان

فأمثال الشعوب تتشابه فى مغزاها ، وتتوارد فى محصولها ومؤداها ، حتى يصح أن يقال فى هذه الناحية إن الأمثال إنسانية عالية يتفق فيها جميع الناس .

لكن أمثال الشعوب مع هذا قومية وطنية تدل على أهلها وتنم على خلائق ملة بعينها؛ فلا تقرأ أمثال العرب دون أن تعرف منها شيئاً عن العرب لا تعرفك مثله عن الفرس أو الترك أو الروم، ولا تقرأ نخبة من أمثال الأوربيين إلا فرقت بينها وبين نخبة من أمثال الأسيويين أو الأمريكيين. فهي تكشف لنا الإنسانية لأن الأمم كلها من بني الإنسان، وتكشف لنا كل أمة على حدة لأن الناس يختلفون كما يتفقون، ولا تناقض بين الأمرين

ظهر في العهد الأخير كتاب انجليزي عن الأمثال الروسية من أوفى ما كتب عن هذه الأمثال. فأوجز ما يوصف به أنه يلقي لك ضياء على كل حادث عظيم في تاريخ هذه الأمة ماضيها وحاضرها، منذ جلت عن سهوب آسيا إلى أن وقفت في حربها مع الألمان موقفها المجيد الذي قلت نظائره في تواريخ الحروب!

تقرأ هذه الأمثال فتوقن أن الروس والجرمان لا يعيشون في السلم والوئام إلى زمن طويل. وأول هذه الأمثال قولهم: إن «ما ينفع الروسي هلكة للألماني» ... ومصداق ذلك في الحرب الحاضرة غير بعيد

ومن تلك الأمثال، وفيها الدلالة على الحرب التي يحسها الروسيون، أن البحر جميل من الشاطئ، وأن البعيد عن البحر بعيد عن الأحزان، وأن الموت أخ للجندي الروسي، وأن امرأة هـذا الجندي ليست بزوج ولا بأيم، وأنه «ما كل رصاصة تصيب عظمة في الجسد؛ فقد تصيب الرصاصة الفراغ!»

وقلما دخل الروس حرباً إلا تركوا بعـدها أمثالاً تنبئنا ببعض أنبائها. فمن بقايا حرب نابليون مثلهم القائل: «ما أسعد الفرنسي بغراب!» لأن جنود نابليون كانوا يتصيدون الغربان التي تأكل قتلاهم فيطبخونها وهم هلكى من الجوع!

ومن بقايا حروبهم مع الترك ذلك المثل الذي يفيض بالسخرية والشهادة لشجاعة الخصمين: «يتساقط الترك، ولكننا والحمد لله صامدون في الميدان ... بغير رءوس!»

ولعلنا لا نعرف جهاد الروس في طلب الحرية من بضع كلمات كما نعرفه من الكلمات القليلة التي يجمعونها في قولهم: «تبحث عن شجاع ... إذهب إلى السجن!»

فقد مضى على الروس حقاً ذلك الزمن الذي كانت فيه السجون أجدر الأمكنة أن تبحث فيها عن الرجل الشجاع، وذلك زمن الثورات، أو زمن الجهاد في طلب الحرية، أو زمن التمرد على السلطان الذي لا خير فيه

ويذكر القراء أن قياصرة الروس كانوا من أكبر الدعاة إلى السلم في عهدهم الأخير، وأن حكيم الروس الكبير – تولستوي – كان أكبر دعاة السلام في أوائل القرن العشرين. ولكن الروس وحدهم هم الشعب الذي سجل خيبة الأمل في السلم كما تمناه منهم الرؤساء والمصلحون، فقالوا في أمثالهم: «إن السلم الدائم ليدوم ... ولكن إلى أول حرب مقبلة ...»

وهكذا أوحت الحكمة إلى ألسنة الدهماء، ما لم توحه إلى الساسة ولا إلى الحكماء

***

وكل خلائق الروس ظاهرة في أمثالهم الشعبية، وليست خلائقهم في حروبهم وثوراتهم وكفى؛ فهم معروفون بالتواكل والاستسلام للقـدر فيما ينوبهم من عثرات الجدود، وذلك ظاهر في قولهم: «إذا طرق بابك الجد العاثر فافتحه له على مصراعيه» ... يريدون أن الجد غالب على أمره؛ فكل حذر في اتقائه لا يفيد

وهم معروفون بالمداورة بين القادرين المسيطرين عليهم، وذلك ظاهر في قولهم: «صل لله ولكن لا تهيج الشيطان!»

وهم معروفون بالحذر الدائم، وهو ظاهر في قولهم: «للخوف عيون واسعة» وقولهم: «من الحياة نخاف لا من الموت!»

وهم يتباطأون عن الجد كما يظهر من مثل الفلاح القائل: إلى الغيط ... ما آلم هذا المغص في الأحشاء! إلى الحان ... هاتي المعطف يا امرأة، وعجلي!»

وتواكلهم مع معيشتهم في البيوت تظهر من أمثلة كثيرة في معارض شتى، منها: «إذا أقدمت على الزواج فلا تطيلي همك ... ستعلمين متى يحين الموعد المقدور للبكاء ساعة يضربك زوجك!»

ومنها: «تزوج كبراهن وانظر إلى أمها وأبيها، أما الصغرى فلا تتزوج بها إلا وقد نظرت إلى أختها الكبرى»

ومنها: «زوجي سيء أخافه، ولكني أكون معه فلا أخاف من أحد غيره!»

ومنها: «سأحفظ حكايات الخرافة متى رزقت الأحفاد»

وبسبيل من هذا وإن ظهرت فيه مناقضة للتواكل قولهم : « حسبما تهيئ فراشك يكون رقادك ! »

وقولهم : « عش كما يتاح لك ، ومت كما تتمنى ! » أو قولهم : « من لم يكن صحيحاً فى العشرين ، عاقلاً فى الثلاثين ، غنياً فى الأربعين ، فلا أمل له فى الصحة والعقل والغنى ، حتى يموت »

***

ويقولون وفيه دليل على سوء الظن بالدنيا : « رفع عقائرنا بالغناء فيسمعنا الناس ، ورفع عقائرنا بالعويل فليس للناس آذان »

ويقولون : « إن كان لا بد من غرق فالبحر اللجى خير من البركة الآسنة » وفيه مشابهة لقول المتنبى :

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

ويقولون وفيه صدق النرض وإن لم يكن فيه صدق التاريخ : « موسكو أحرقتها شمعة بدرهم »

فشمعة بدرهم قد تحرق موسكو حقاً ، وإن لم تكن أحرقتها فى حرب نابليون

ومن أبرع أمثالهم قولهم : « يولد الإنسان ليموت، ولكنه يموت ليحيا »

ومنها فى فضل الوقاية : « يخاف الهواء الأصفر ممن يخافه » ومنها فى المساواة والفوارق بين الناس : « عيوننا تملأها شمس واحدة ، وبطوننا لا يملأها طعام واحد » ومنها : « من سكن بجوار المقابر لم يحزن على كل فقيد » ومنها : « راقب الجدى من أمام ، وراقب الحصان من وراء ، وراقب الشرير من كل جانب » ومنها فى رشوة الحكام : « من باب الطريق صد ومن باب السر ترحيب »

***

وعلى الجملة يندر أن نعرف الروس من كتاب واحد كما نعرفهم من هذا الكتاب الذى جمع لنا المئات من أمثالهم المنتقاة

ونعتقد أن هذا هو شأن الأمثال فى كل أمة وفى كل طبقة وفى كل جيل ، وربما أغنتنا ثلاثة أمثال أو أربعة عن قراءة سفر مطول فى أخلاق بعض الأمم خلال فترة من الفترات

فأى كتاب يدلنا على أخلاق المصريين فى القرن الماضى كما يدلنا عليها مثلهم القائل : «أردب ما هو لك لا تحضر كيلة ، تتعفر دقنك وتتعب فى شيله » أو مثلهم القائل : « اللى يجوز أمى أقول له يا عمى » أو مثلهم القائل : « إن عبدوا تور حش وارمى له » وما شابه هذه الأمثال

فثلاثة أمثال من هذا القبيل تلخص لنا تاريخ الاستبداد فى ذلك القرن وما أحدثه فى مصر من التفكك واجتناب التعاون ومداراة الظلم والإذعان لكل آمر والعجز عن كل مقاومة

ومئات منتقاة من هذه الأمثال فى شتى المعارض تجمع لنا من الأخلاق القومية والدلائل التاريخية ما يتفرق فى كتب مختلفات تتكلم عن الأخلاق ولكنها لا تعرض لنا تلك الأخلاق عرضاً مجسما كما تعرضها الأمثال

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ قلة التمثل بالأمثال فى هذه الأيام سواء بين المصريين أو بين الأمم الأخرى

فأبناء العصر الحاضر لا يحفظون أمثال أممهم ولا يكررون ما يحفظونه منها ، وليس هذا بعجيب إذا نظرنا إلى الخلق الغالب بين أكثر المحدثين

فقل فى أبناء عصرنا من يقتدى بالسلف أو يحب أن يقال عنه أنه ممن يقتدى بهم فى المعيشة والسلوك . ولا معنى لسرد الأمثال ما لم يكن ديدن السلف حجة مقبولة بين القائلين والسامعين

إنما الخلق الغالب فى عصرنا أن يباهى الرجل فى يومه بمخالفة أمسه ، وأن يجرى فى كل حين على بدعة لم يسبقه فيها سابق قبل حينه ، وأن يتهالك على الجديد ولو لم تكن له مزية غير الجدة العابرة . وهذه حالة من الحالات النفسية لا توائمها متابعة الأمثال ، أو تحريها فى الأقوال والأعمال ؛ بل هى تستدعى كلاماً يناقض المثل فى لبابه ومرماه ، وهو الارتجال المقتضب الذى لا يتعدى ساعته إلى ما وراءها ، ولا يصلح للتكرار والاستشهاد

ولهذا تسنح الفرصة اليوم للحرص على ذخائر الأمثال ، والاستزادة من مجموعاتها التى يخاف عليها النسيان والإهمال ؛ فإنها لموصولة يوماً لا محالة ، وإن طال عهد الانقطاع والارتجال .

عباس محمود العقاد

مشاركة الأدب الانجليزى فى الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٣ — القرن التاسع عشر

تقدمت الدراسات العربية فى القرن التاسع عشر تقدماً عظيماً فى جميع الأقطار المهمة فى أوربا . ولقد كان من نتائج حملة نابليون فى مصر أن أصبح الشرق الأدنى العربى فى مقدمة الأمور السياسية الأوربية ، وأن استعيد الاتصال بين العرب والفرنك بعد انقطاع دام قروناً عديدة ، فشرع الكثيرون من الرحالين الأوربيين يزورون الشرق ، ودخل عدد كثير من الطلاب المصريين فى جامعات أوربا الغربية لدراسة ثقافة الغرب وفنه ، واستثارة اهتمام جديد بالثقافة العربية بين الغربيين

وقد بدأ العلماء الفرنسيون الذين رافقوا نابليون الحركة العلمية الجديدة فى الاستشراق الأوربى . والعلماء الفرنسيون هم من أبرز المشتغلين باللغة العربية فى مطلع القرن التاسع عشر . وقد أنشأ المستشرق الفرنسى العظيم « سلفستر دى ساسى » جيلاً كاملاً من العلماء من جميع الجنسيات

وكذلك نجد فى انكلترا مجموعة منظمة ذات شأن من المشتغلين بالعربية ، فكان إنشاء كرسى جديد للغة العربية فى جامعة لندن — وكانت قد أنشأت حديثاً — وتكوين « الجمعية الآسيوية الملكية » ، وهى مجمع مستشرقى الإنكليز ، مما أثر فى الاندفاع الجديد نحو الأبحاث الاستشراقية . وأصبح العلماء الإنكليز فى الهند وهم الذين يدرّسون لغة الإسلام ومدنيته للهنود يجدون أنفسهم ملزمين بدراسة اللغة العربية التى هى مصدر جميع الثقافات الإسلامية فى كل اللغات . واكتسبت آثار المشتغلين بالعربية فى القرن التاسع عشر ميزة وفائدة جديدتين نتيجة للتقدم الحاصل عند العرب أنفسهم . ففى خلال القرن التاسع عشر دخلت الشعوب التى تنطق بالعربية فى دور بعث ثقافى وطنى . وقد كابدوا فى بداية الأمر مشقة من جراء قلة الكتب العربية المطبوعة ، وقلة المطابع أيضاً ، ولذلك كانت الطبعات الأنيقة العديدة للمؤلفات العربية الخالدة التى نشرت فى أوربا — وقسم كبير منها فى انكلترا — ذات فائدة عظمى للجيل العربى الجديد من القراء ، ومكنتهم من الحصول على مادة لم يكن الحصول عليها ممكناً من غير ذلك المصدر . وفى آخر الأمر ، عند ما أنشئت المطابع فى الشرق وبدئ بطبع الكتب محليًّا ، كانت الكتب تطبع وفق النصوص العربية ، وبذلك قام المستشرقون بدور مهم فى إعادة ثقافة العرب إليهم ، وقضوا دين عرب القرون الوسطى الذين نقلوا كتب الإغريق إلى الغرب

وليس فى وسعنا فى هذا المجال أكثر من أن نذكر بعض الشخصيات البارزة من بين المشتغلين بالعربية من الإنجليز . ونقتصر على أشخاص مثل « ج . هـ . هندلى » وهو أحد العلماء البارعين فى الفارسية والعربية ، ومن جملة مؤلفاته ترجمة ودراسة — فى الإنجليزية — عن الشاعر العربى أبى الطيب المتنبى . و « م . لمسدن » الذى كان أستاذ اللغتين العربية والفارسية فى كلية « قلعة وليم » فى الهند . وقد ألف أجرومية عربية كانت كثيرة التداول فى القرن التاسع عشر فى أوربا والهند كليهما . ومما يجب ذكره أن أولى المحاولات الإنجليزية لتنظيم التعليم فى الهند كانت تشمل اشتراط دراسة اللغة العربية من مسلمى الهند ، وكان « لمسدن » أحد الإنجليز الكثيرين الذين ساعدوا على إنجاز هذا الأمر ، وكان فى كلية « قلعة وليم » — وهى أولى الكليات الإنجليزية فى الهند — كرسيان للغتين العربية والفارسية .

* * *

وكان أعظم الشخصيات الإنجليزية — بل الأوربية أيضاً — بلا مراء فى مطلع القرن التاسع عشر هو المستر إدورد وليم لين (١٨٠١ — ١٨٧٦) .

اهتم « لين » مزيد الاهتمام بالدراسات الاستشراقية منذ فجر شبابه وعلى الأخص بمصر ، وسافر فى يولية سنة ١٨٢٥ إلى الإسكندرية فى زيارته الأولى لمصر ، وكان السفر فى البحر



إدورد وليم لين : (منصور أفندى)

الأبيض المتوسط وقتئذ لا يزال كبير الخطر ، ولم تخل رحلته تلك من مخاطر ، فقد أصاب السفينة إعصار ، وعجز قائدها عن إدارة دفتها ، ولم يكن على ظهرها من يحسن القيادة . وبالرغم من أن « لين » لم يركب سفينة قط فى حياته ، فإنه أخذ الدفة بيده ، واستطاع أن ينقذ السفينة من التحطيم بفضل معلوماته الرياضية . وحدث بعد ذلك أيضاً أن قامت فى السفينة ثورة كادت تودى بحياته . وبعد سفر شهرين وصل « لين » إلى مصر حيث بقى إلى خريف سنة ١٨٢٨ وقضى معظم الوقت فى القاهرة . ومع أن رغبته الأصيلة كانت دراسة المصريين القدماء ، فإنه سرعان ما وجد أحفادهم المحدثين أحق منهم بالدراسة بكثير ، فشرع توّ إقامته ، فى دراسة واسعة للغة العربية فحذقها حذقاً تاماً كتابة ولفظاً . وقد أفادته تلك الرحلة إلى الشرق — وهى الرحلة التى كان يتحرق شوقاً إليها — خبرة معنوية عظيمة . وقد قال فى مذكراته :

عنـد ما نزلت الأرض لأول مرة داخلنى شعور طاغ يشبه شعور عريس على أهبة رفع القناع عن وجه عروسه التى لم يرها من قبل . ولقد كان تأثره بعد ذلك بما رأى عميقاً ، وامتلأ إعجاباً عظيماً بكل ما يمت إلى الإسلام بصلة

وعند ما عاد إلى انجلترا ، كان قد درس مصر وشعبها ولغته دراسة عميقة ، وكتب وصفاً مسهباً مخطوطاً عن الحياة فى مصر . فلما طلب إليه أن يقوم بنشره أصر على الرجوع ثانية إلى مصر قبل طبع الكتاب استجابة لولوعه بالدقة العلمية التى كانت إحدى ميزات آثاره ، فخصص رحلته الثانية فى سنة ١٨٣٣ ــ ٣٥ لدراسة دقيقة عن الحيـاة فى القاهرة . وكان من عادته فى مصر أن يرتدى اللباس الذى يرتديه المصريون ، وأن يقتصر فى علاقاته على المصريين المسلمين . وقد اتخذ لنفسه داراً فى القاهرة وعاش العيشة المعتادة التى يحياها أدبب مصرى من جميع الوجوه . وكانت هـذه الأمور ، مضافاً إليها طلاقة نطقه العربى وصحته ، وشىء من السمة الشرقية فى تقاطيعه ، قد مكنته من أن يعيش كمصرى بين المصريين ، وأن يختلط بالمجتمع القاهرى اختلاط الصديق والند . وكان يعرف فى مصر باسم « منصور أفندى »

وعند عودته للمرة الثانية إلى انجلترا نشر كتابه المشهور « وصف شمائل وعادات المصريين المحدثين » فى جزءين فقوبل فى الحال كأثر خالد ، ونفدت الطبعة الأولى منه فى أسبوعين ، ولحقتها أخريات عديدات ، كما أنه طبع فى ألمانيا وأميركا واعتبر من مخلدات الأدب الإنجليزى ، وهو يحتوى على وصف الحياة القاهرية وعاداتها ، قبل أن يحل بها هذا التغيير الذى جعل منها مدينة حديثة . ولذلك فإنه سجل صحيح لمصر يكاد يكون غابراً ، بدقة فى الوصف فائقة ، وهو مستند تاريخى ذو أهمية عليا لا يستغنى عنه جميع الطلاب فى مصر حتى الآن .

(للموضوع بقية) عبد الوهاب الأمين

راقصة ...

للأستاذ علي محمود طه

سَرَتْ بين أعينهم كالخيالْ   تعانقُ آلهـةٌ فى الخيالْ
مُجرَّدةً حسبتْ أنَّهَا   من الفنِّ فى حَرَمٍ لا يُنَال
فليستْ تُحِسُّ اشتهاء النفوس   وليستْ تُحِسُّ عيونَ الرجال
وليستْ ترى غير معبودها   على عرشه العبقرىِّ الجلال
دعاها الهـوى عنده للمثول   وما الفنُّ إلَّا هوًى وامتثال
تخفَّتْ له شِبْهَ مسحورةٍ   عَلَتْ وجهها مَسْحَةٌ من خَبال
وفى روحها نشـوةٌ حلوةٌ   كمهجورةٍ مُنِّيَتْ بالوصال
تراها وقد طوَّفَتْ حوله   جلاها الصِّبَى وزَهاها الدلال
تضمُّ الوشاحَ وَتُلْقِى به   وفى خَطوها عِزَّةٌ واختيال
كفارسةٍ حضنتْ سيفها   وألقتْ به بعد طول النضال
تمـدُّ يديها وتثنيهما   وترتدُّ فى عِوَجٍ واعتدال
بحوريَّةِ النبع تطوى الرِّشاء   وتجذبُ ممتلئاتِ السجال
مُحَـيَّرَةَ الطيف فى مائجٍ   من النور يغمرها حيث جال
تُخَيَّلُ للعين فيما ترَى   فراشةَ روضٍ جَفَتْهَا الظلال
وزنبقـةً وَسْطَ بَلورةٍ
على رفرف الشمس عند الزوال
تَنَقَّلُ كالحلْمِ بين الجفون   وكالبرق بين رءوس الجبال
على إصبعىْ قَدَمٍ أُلْهِمَتْ   هبوبَ الصَّبا ووثوبَ الغزال
وتُجْرِى ذراعَيْنِ منسابتين
كفرعين من جدولٍ فى انثيال
كأنهما حولها ترْجُمانِ   تقاطيعَ جسمٍ فريدِ المثال
أبَتْ أنْ تَمَسَّاهُ بالرَّاحتين   ويَرْضى الهوى ويريد الجمال
ومن عَجَبٍ وهى مفتونةٌ
تُرِيكَ الهـدى وتُرِيكَ الضلال
تَلَوَّى وتسهو كلُهَّابةٍ   ترَاقصُ قبـل فناءِ الذُّبال
وتعلو وتهبط مثـل الشِّراع   ترَامَى الجنوبُ به والشَّمال
وتعـدو كأنَّ يداً خلفها   تُعَذِّبُهَا بسياطٍ طوال
وتزحفُ رافعـةً وجهها   ضراعةَ مستغفرٍ فى ابتهال
وتسقط عانيةً للجبين   كقُمْرِيَّةٍ وقعتْ فى الحبال
تَبِضُّ ترائبهـا لوعةً   وتخفِقُ لا عن ضَنًى أو كلال
ولـكنه بعضُ أشـواقها
وبعضُ الذى اسْتَوْدَعَتْهَا الليال ! !

علي محمود طه

من موضوع كتاب « رسوم دار الخلافة »

دَنِّيَّة القـــاضى
فى العصر العباسى
للأســـتاذ ميخائيل عواد

الدَّنِّيَّة وتجمع على الدَّنِّيات ، قَلنسُوة بشكل الدَّن (وهو الحُبّ عند العراقيين له عُسْعُس) ، محدودة الأطراف ، طولها نحو شبرين تتخذ من ورق وفضة على قصب (عيدان) ، وتُغشى بالسواد ، وتزين أحياناً بشنائق صفر طوال تتـدلى على الصدر كان يلبسها القضاة عامة ، فى العصور الإسلامية السالفة ، كما يلبسها الخطباء والأكابر أحياناً

قال الشريشى فى شرح المقامة التاسعة للحريرى : إن أصل الدَّنية : الدنينة كسفينة ... وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ... إه . والصواب : أن الدنية عربية منسوبة إلى الدن وليست بالدنينة[1]

والغريب أن هذه اللفظة وردت فى « النجوم الزاهرة[2] » باسم « المدينة » وهذا تحريف ظاهر

وكان من أهم ماجريات سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة ، أن « أبا جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقَلانِس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» . فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى ، فقال له أبو جعفر : مَا حالك ؟ قال : شَرٌّ حال ! وجهي فى نصفى ، وسيفى فى استى ، وكتاب الله وراء ظهرى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد »[1] . قال أبو الفرج الأصفهانى[2] : « ونسخت من كتاب لابن النطاح ، فذكر مثل هذه القصة سواء وزاد فيها :

وكنا نُرَجَّى من إمام زيادةً ... فجاد بطول زاده فى القلانس[3]
تراها على هام الرجال كأنهـا ... دنان يهود جللت بالبرانس[4]

والظاهر أن الرشيد لم يحب هذا التغيير الذى أحدثه المنصور من قبله ، فقد حكى الجاحظ أن العمانى الراجز « دخل على الرشيد لينشده شعراً وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج ، فقال : إياك أن تنشدنى إلا وعليك عمامة عظيمة الـكور وخفان دمالقان ... فبكر من الغد وقد تزيا بزى الأعراب فأنشده ...[5] »

ثم جاء المعتصم فأعاد لبس القلانس الطوال تشبهاً بملوك الأعاجم ، فلبسها الناس اقتداء به ، وسميت المعتصميات[6] .

ومما ذكره الجاحظ فى اختلاف الناس فى صنوف اللباس قوله : « ... وهل ذلك إلا كتعظيم كور العمامة ، واتخاذ القضاة القلانس العظام فى حمارَّة القيظ ، واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ! فإن كانت القلانس مكشوفة زادوا فى طولها وحدة

(١) الساعد (مادة دون) ؛ « وهو معجم كبير وضعه الأب أنستاس مارى الـكرملى ، ما زال مخطوطاً عنده » — وانظر : لسان العرب (١٧ : ١٧) ، وتاج العروس (٩ : ٢٠٣ ؛ مادة دون ، وشذرات الذهب (١ : ٢٣٤) وتكملة المعجمات العربية لدوزى (١ : ٧٧٣) : Dozy : Supplément Aux Dictionnaires Arabes. (Leyde, 1881)

(٢) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٢ : ٢٠ ؛ طبع دار الـكتب المصرية)

(١) و (٢) الأغاني (١٠ : ٢٣٦ ؛ طبعة دار الـكتب = ٩ : ١١٥ ؛ طبعة الساسى) . وانظر : تاريخ الرسل والملوك للطبرى (٣ : ٣٧١ ؛ طبعة دى غويه) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٤ : ٢٢٠ ؛ طبعة سنة ١٩١٣ بمصر = ١ : ٣٠٦ ؛ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى (٤ : ٢٢٠ ؛ طبعة مرجليوث) ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (٥ : ٤٦٧ طبعة تورنبرج ، ومختصر أخبار الخلفاء المنسوب لابن الساعي (ص ١٨ بولاق) ، وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى (ص ٢١٣ طبعة صالحانى) وغرر الخصائص الواضحة للوطواط (ص ٢٠٢ بولاق = ص ١٢٧ طبع المطبعة الأدبية بمصر) ، ومحاضرة الأوائل للبسنوى (ص ٨٥ بولاق)

(٣) وفى أغلب المراجع : « فزاد الامام المصطفى فى القلانس »

(٤) وفى بعض المراجع : « بالأطالس »

(٥) البيان والتبيين (١ : ٩٣ طبعة السندوبى) ، وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى (١ : ٩٣ — ٩٤ ؛ طبع دار الـكتب المصرية) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٢ : ١٣٩ — ١٤٠ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) ؛ وقد ذكر صاحب العقد المأمون بدلا من الرشـيد فى هذه الرواية

(٦) مروج الذهب (٨ : ٣٠٢ طبع باريس) ، وراجع الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لمتز (٢ : ١٨٧ ؛ الترجمة العربية)

رءوسها حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة ...[١] » .

ولم يكن لبس الدَّنِّيَّات قاصراً على قضاة العرب ، بل تعداهم إلى غيرهم من الأمم ، فهذا الاصطخرى الرحالة البلدانى يقول فى عرض كلامه على صور أهل فارس وزيهم : « ... وأما قضاتهم فإنهم يلبسون الدَّنِّيَّات وما أشبهها من القلانس المشمرة عن الأذنين ، مع الطيالسة والقُمُص والجباب ، ولا يلبسون دراعة ولا خفًا بكسرةٍ ، ولا قلنسوة تغطى الأذنين ...[٢] »

وكان القضاة يتفرَّدون بلبس هذه القلانِس الطوال أينما وجدوا ، وقد يدفعهم الأمر إلى منع كافة الناس من لبسها . فقد أنبأنا الكندىّ فى نحو سنة ٢٣٠ هـ بقوله : « كان زِىُّ أهل مصر وجمال شيوخهم ، وأهل الفقه والعدالة منهم لباس القلانس الطوال ؛ كانوا يبالغون فيها ، فأمرهم ابن أبى الليث [القاضى] بتركها ومنعهم لباسها وأن يشبهوا بلباس القاضى وزيه فلم ينتهوا . قال ابن عثمان : فجلس ابن أبى الليث فى مجلس حكمه فى المسجد واجتمع أولئك الشيوخ عليهم القلانس ؛ فأقبل عبد الغنى ومطر جميعاً فضربا رءوس الشيوخ حتى ألقوا قلانسهم . قال : وأخبرنى محمد بن أبى الحديد قال : حدثنى عتبة بن بسطام قال : رأيت قلانس الشيوخ يومئذ فى أيدى الصبيان والرعاع يلعبون بها ، وكانوا بعد ذلك لا يدخلون إلى ابن أبى الليث ولا يحضرون مجلسه فى قلنسوة

وأنشدنا إسمعيل بن اسحاق بن ابراهيم بن تميم للجمل :

وأخفت أيام الطوال وأهلها ... فرموا بكل طويلة لم تقصر
ما زلت تأخذهم بطرح طوالهم ... والمشى نحوك بالرءوس الحسَّر
حتى تركتهم يرون لباسها ... بعد الجمال خطية لم تغفر
يتفزعون بكل قطعة خرقة ... يجدونها من أعين ومخبّر
فإذا خلا بهم المكان مشوا بها ... وتأبطوها فى المكان الأعمَرِ
فلئن ذعرتَ طوالهم فلطالما ... ذعرت ومن برؤاتها لم يذعرِ
كانوا إذا دلفوا بهن لِفَضَلٍ ... أمضى عليه من الوشيج الأسمر
كم موسرٍ أفقرته ومفقَّرٍ ... أغنيته من بعد جهد مفقرِ

(١) البيان والتبيين (٣ : ٨٠)

(٢) مسالك الممالك (ص ١٣٧ — ١٣٨) ، وانظر صورة الأرض لابن حوقل (ص ٢٨٩ طبعة كريموز)

ما إن عليك لقيت منهم واحداً ... أوفى العجاج مدججاً فى مغفر
لبسوا الطوال لكل يوم شهادة ... ولقوا القضاة بمشية وتبختُرِ
ما بى أراهم مطرقين كأنما ... دمغت رءوسهم بحمى خيبَرِ

أخبرنا ابن قديد عن يحيى بن عثمان قال : لما عزل ابن أبى الليث ترك كثير من الشيوخ لباس القلانس ؛ منهم أبو ابراهيم المزنىّ سمعت كهمس بن معمر يقول : لما أمر ابن أبى الليث بطرح القلانس لم يثبت على لباسها إلا محمد بن رمح فلم يعارض

أخبرنى اسمعيل بن اسحاق بن ابراهيم بن تميم أن النيل كان توقف ؛ فاستسقى أهل مصر وحضر ابن أبى الليث الاستسقاء ، فوثب المصريون بسبب غلاء القمح ؛ وأخذوا قلنسوته فلعبوا بها بعد ما فعل بقلانس أهل مصر بثمانية أيام »[١]

والظاهر أن الدَّنِّيَّات كان قد ضعف شأنها ، وقل استعمالها فى بغداد ، فى المائة الخامسة للهجرة ، فقد أشار إلى ذلك هلال ابن المحسِّن الصابئ (المتوفى سنة ٤٤٨ هـ) فى عرض كلامه على جلوس الخلفاء وما يلبسونه فى المواكب ، وما يلبسه الداخلون عليهم من الخواص وجميع الطوائف . قال : « ... فأما العباسيون من أرباب المراتب ، فزيهم السواد بالأقبية المولَّدة والخفاف ، ولهم منازل فى شد المناطق والسيوف وتقلُّدها ؛ اللهم إلا أن يكون منهم من قد ارتسم بالقضاء ، فله أن يلبس الطيلسان . وأما قضاة الحضرة ومن أُهِّل للسواد من قضاة الأمصار والبلاد ؛ فبالقُمص والطيالِسة والدنِّيَّات والقراقفات[٢] ، وقد تُركت الدنيات والقراقفات فى زماننا وعدل إلى العمائم السود المصقولة »[٣]

(١) الولاة والقضاة للكندى (ص ٤٦٠ — ٤٦٢)

(٢) القراقفات « جمع قراقف ، وقراقف جمع قرقفة . والكلمة إرمية من قرقفتا . وهى من القلانس المستديرة الضخمة التى تلبس فى الرأس وكانت من ملبوس الفقهاء والقضاة فى عهد العباسيين — أنظر دليل الراغبين فى لغة الآراميين للقس يعقوب أوجين منا الكلدانى ، ص ٧٠٩ مطبعة الآباء الدومنكيين فى الموصل » : (المساعد)

(٣) رسوم دار الخلافة (ص ١٢٦ — ١٢٧ من المخطوط) ؛ وهو كتاب أعددناه للنشر بعد أن حققناه وعلقنا عليه ، وألحقنا به فهارس مفصلة ، وملاحق منوعة . والمقال الذى بين يديك أحد تلك الملاحق . طالع ما كتبناه بشأنه فى مجلة الرسالة (العدد ٣٦٢ ص ٩٧٧ — ٩٨٠) وهناك إشارات متفرقة عنه فى : مجلة الثقافة (العدد ٩٨ ، ص ٣٩) ، والمقتطف (٩٨ [مارس ١٩٤١] ص ٢٤١) ، ومجلة غرفة تجارة بغداد (العدد الثالث ، آذار ١٩٤١ ، ص ٢١١) .

وكانت الدَّنِّيات تبرز فى أيام مواكب الخلفاء فى بغداد ؛ إذ يحضر صنوف الناس على مراتبهم ورسومهم . قال هلال الصابى[*] : « وإذا اتفق يوم الموكب حضر حاجب الحجاب بأكمل لباسه : من القباء الأسود المولد ، والعمامة السوداء ، والسيف ، والمنطقة ، وقدامه الحجاب وخلفاؤهم ، وجلس فى الدهليز من وراء الستر ، وحضر الوزير وأمير الجيش ، ومن له رسم فى حضور الموكب ؛ فإذا تكامل الناس راسل الخليفة بذلك ، فإن أراد أن يأذن الإذن العام ، خرج الخادم الحرمى الرسائلى فاستدعى حاجب الحجاب ودخل وحده حتى يقف فى الصحن ، ويقبل الأرض ، ثم يُرسم له إيصال القوم على منازلهم ، فيخرج ويدعو ولى العهد ، إن كان فى الوقت ولى عهد ، وأولاد الخليفة ، إن كان له ولد ، ثم يدخل الوزير ، ويمشى الحجاب بين يديه إلى أن يقرب من السرير . . . وأدخل بعده أمير الجيش . . . ثم أصحاب الدواوين والكتاب ، وأوصل القواد يقدمهم خلفاء الحجاب على مراتبهم ودعوهم ، ووقفوا يميناً وشمالاً على رسومهم ، ونودى ببنى هاشم ومن يلبس الدنيات ويتقلد الصلوات ، فيقدمون إلى أول البساط ويسلمون ويقفون مفردين(١)

للدَّنية أخبار طريفة كانت فى أكثرها مدعاة للسخرية منها ، والتمثيل بها . فقد روى أبو الفرج الأصفهانى حكاية قال فيها : أخبرنا محمد بن خلف وكيع ، قال : كان الخليجى القاضى واسمه عبد الله [بن محمد] ابن أخت علوية المغنى ، وكان تياهاً صلفاً ، فتقلد فى خلافة الأمين قضاء الشرقية(٢) ؛ فكان يجلس إلى اسطوانة من أساطين المسجد ، فيستند إليها بجميع جسده ولا يتحرك ، فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يفصل بينهما ثم يعود لحاله ، فعمد بعض المجان إلى رقعة من الرقاع التى يكتب فيها الدعاوى فألصقها فى موضع دنيته بالدبق وتمكن منها . فلما تقدم إليه الخصوم ، وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل ؛ انكشف رأسه وبقيت الدنية موضعها مصلوبة ملتصقة ، فقام الخليجى مغضباً وعلم أنها حيلة وقعت عليه فغطى رأسه بطيلسانه وقام فانصرف وتركها مكانها حتى جاء بعض أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات :

إن الخليجى من تتايهه	أثقل باد لنا بطلعته
ما إن لذى نخوة مناسبة	بين أخاوينه وقصعته
يصالح الخصم من يخاصمه	خوفاً من الجور فى قضيته
لو لم تدبقه كفّ قابضه	لطار منها على رعيته(١)

(البقية فى العدد القادم) — بغداد **ميخائيل عواد**

(١) رسوم دار الخلافة ص ١٠٧ ، ١٠٩ المخطوط

(٢) يقصد قضاء الجانب الشرقى من بغداد

(١) الأغانى (١٠ : ١١٧ — ١١٨ ، الساسى — ١٠ : ١٢٣ ، بولاق) ، ومعجم الأدباء (١ : ٣٧٣ — ٣٧٤ طبعة مرجليوث)

إلى المعترضين علينا

للأب أنستاس مارى الكرملى

اعترض علينا فى (الرسالة) ١٠ : ٨٦٩ حضرة الأستاذ اللغوى سعيد الأفغانى وغيره على أن جمع أفعل ومؤنثه فعلاء ، غير مستند إلى نص صريح ! (كذا) كأن قول سيبويه غير موثوق به ! وذلك ، « لأن نص سيبويه قاصر[1] (كذا) ، على أن جمع التكسير لأفعل فعلاً هو فعل العين[2] (كذا) . وما أظن أن كيفية تكسير هذه الصيغة كانت محل خلاف ؛ وليس فيها شاهد على خطإٍ قولهم : صخور ملساء

« وإنمـا كان الأب بحاجة إلى نص صريح يستثنى فيه هذه الصيغة من القاعدة العامة ، وهي : أن نص جمع التكسير يكون بالمفرد المؤنث وبالجمع على السواء ؛ فلك أن تقول : أشهر محرمة ، وأشهر محرمات ؛ وأياماً معدودة ، وأياماً معدودات ؛ كما فى القرآن الكريم وغيره . فما الذى يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النص بحكم خاص ؟ هـذا ما يحوج الأب الإبراه[3] عليه . أما استقراؤه الشخصى ، وطلبه من مخالفة الإتيان بشاهد ، فلا يردان حجة ، لأن المقيس لا يلزم له شاهد انتهى ...

قلنا : إننا لا نحتاج إلى نص صريح تستثنى فيه هذه الصيغة لأن قاعدة جمع أفعل فعلاً ، قاعدة قائمة بنفسها ، وليس لها صلة بالقاعدة العامة ، إذ هى قاعدة خاصة بهذا الوزن ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الصحيحة الرواية ؛ والمسموع من كلام فصحاء العرب وبلغائهم هى أحسن شاهد ، بل أحسن قاعدة لمـا نريد أن نثبته ، ولا يهمنا بعد ذلك ضوابط النحاة ، وقواعد الصرفيين ، وآراء اللغويين ، وتحكمات المتأولين ، وأرباب الأحكام العربية ، لأنهم لم يستقروا جميع قواعد اللغة المضرية . وبيدنا شواهد لا تحصى تدل على نقصان ضوابطهم وتتبعاتهم واستقراءاتهم ، وربمـا ذكرنا شيئاً منها فى فرصة مناسبة (١)

ولهذا لا نعتمد فى أغلب الأحايين على قواعد النحاة ولا على ما يقوله اللغويون ، إلا إذا اتفق كلامهم وما ورد فى الآى القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، وما سمع من كلام فصحاء الأقدمين الصادق النسب إليهم ، فإن لم يتفق ، لا نحفل بكلام الخليل ، ولا بأقوال سيبويه ، ولا بآراء نفطويه ، ولا بنص عفطويه . فلقد رأينا فى الآيات البديعة نعوتاً مختلفة واردة مفردة مؤنثة لموصوفات أو منعوتات مجموعة ، كما قال حضرة أستاذنا الكريم النابه الأفغانى ، ونحن تبعناها فى جميع ما نكتب ، وكتبنا ... فقد جاء مثلاً فى سورة الحج : « والقاسية قلوبهم » ؛ وفى سورة الإنسان : « ودانيةً ظلالها » ؛ وفى سورة الهمزة : « فى عمد ممددة » ؛ وفى سورة التوبة : « والمؤلفة قلوبهم » ...

لـكننا لم نر مرة واحدة صفة مفردة مؤنثة لموصوف مجموع جمع مكسر كقول أحدهم : كرَيَاتٌ حمراء ؛ مع أننا وجدنا أمثلة مختلفة وكثيرة لقولهم : أياماً معدودات ، وأياماً معدودة ؛ وأشهر محرمات ، وأشهر محرمة ، ولم يستعمل الوجهان ، مرة هذا ، ومرة هذا ، لا لجواز النطق بهما ؛ فلما ذا لم يأت أمثالها فى الآى الفصيح ، بل جاءت كلها على فُعل ؟ ذلـكم — يا سادتى — لأن القول بفعلاء فى مثل هذا الموطن لا يجوز ألبتة ، ولأنه

---

(١) لم نجد فى ما بأيدينا من كتب اللغة وكلام الأقدمين الفصحاء ورود « قاصر » بمعنى « مقصور » ؛ لأن ورود « فاعل » بمعنى « مفعول » سماعى لا قياسى . ولعله من غلط الطبع لا من غلط الـكاتب وهو بليغ فصيح فى ما توشيه أنامله اللبقة

(٢) لعله أراد أن يقول بضم الفاء أو بضم الأول فنزل به القلم !

(٣) لعله أراد : أحوج الأب إلى الابراه إليه . فحذف ووصل وهو هنا غير مضطر إلى هذا العمل . ثم إن « أبره » ذكره اللغويون لـكن معنى الواحد غير معنى الآخر . وقد قالوا : « برهن » مولد بخلاف أبره ؛ لـكن الأزهرى وهو اللغوى الفذ استعمل « برهن » المولد فى كلامه ولم يستعمل أبره والسبب واضح ، لأن هذا غير ذاك . قال فى الـكليات : « البرهان للحجة والدلالة وبرهن عليه : أقام البرهان — وهو المطلوب هنا — وأبره : أتى بالبرهان والعجائب وغلب الناس » انتهى

(١) فقد قالوا مثلا : إن فعالا « كغراب » لم يأت جمعاً إلا فى اثنى عشر حرفاً . وأما نحن فقد جمعنا منها واحداً وأربعين . وقالوا : إن فعولا « كفلوس » جمع فعل المتحرك نادر غير قياسى . وقد جمعنا منها عشرة إلى الآن . وقالوا : لم يرد فعلل كدرهم إلا أربعة أحرف . وقد جمعنا نحن منها إلى الآن أربعة عشر حرفاً إلى غير ذلك من الأقوال غير الصحيحة ، الفاضحة لتأكيداتهم الـكثيرة الأوهام ، فلذا لا يمكن أن يعول على آرائهم إلا بعد تمحيصها كل التمحيص وبعد الاجتهاد فيها وإنعام النظر فى تحقيقها .

غلط شنيع فظيع ، تلعنه الإنس والجن ، وملائكة السماء ، وأهل النار جميعاً ! !

وكيف يجوز لك أن تقول : رجال سوداء ، ونساء سمراء ، ونهارات غراء ، وليال سوداء ... ؟ إنى أعد ذلك كفراً وبسلاً ولعنة وتحقيراً للغة الضاد ! !

فى المائة والأربع عشرة سورة ، سبعة وسبعون ألف كلمة ، وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة ، وليس فيها شاهد واحد على ما يدعى هؤلاء الساكين ! وفى تلك السور من لغات القبائل خمسون لغة ، وقد استخرجناها من تفسير الطبرى الكبير ، الواقع فى عشرين مجلداً ، ومن كتاب الإتقان السيوطي ، ودونك أسماء تلك القبائل مرتبة على حروف المعجم :

١ — أزد شنوءة ٢ — أشعر ٣ — أنمار ٤ — أوس ٥ — بَلِىّ ٦ — بنو حنيفة ٧ — بنو[1] العنبر (لا بنو الغُبَّر ، كما وهم أحدهم) ٨ — بنو نَجُاءة ٩ — تغلب ١٠ — تميم ١١ — ثقيف ١٢ — جُذام ١٣ — جُرْهُم ١٤ — حضرموت ١٥ — حمير ١٦ — خثعم ١٧ — خزاعة ١٨ — الخزرج ١٩ — سبأ ٢٠ — سدوس ٢١ — سعد العشيرة ٢٢ — السكاسك ٢٣ — طَيِّئ ٢٤ — عامر بن صعصعة ٢٥ — عذرة ٢٦ — العمالقة ٢٧ — عُمان (وزان غراب) ٢٨ — عنز ٢٩ — عنس ٣٠ — غامد ٣١ — الغثاة ٣٢ — غسان ٣٣ — غطفان ٣٤ — الغوث ٣٥ — غيلان ٣٦ — فرسان ٣٧ — قريش ٣٨ — قيس ٣٩ — كنانة

(١) ضبطت (مذحج) كمجلس فى جميع كتب التاريخ والانساب واللغة ، أى بفتح الميم وإسكان الذال المعجمة وكسر الحاء وفى الآخر جيم . لكننا وجدنا في مجلة المجمع العلمى العربي التى تنشر فى دمشق فى سنتها ١٧ : ٣٨٦ مضبوطة بضم الأول فشككنا فى صحة ضبطها ولما رجعنا إلى تاج العروس ، ألفيناه يقول فى (ذ ح ج) : « ومذحج كمجلس ، وهو الذى جزم به أئمة اللغة الأنساب ، وشذ ابن خلكان فى الوفيات ، فضبطه بضم الميم » انتهي . وقد راجعنا هذا الكتاب النفيس فى نسخ عدة ، فلم نجد الزبيدى صادقاً فى كلامه على ابن خلكان ، فالنسخة البولاقية تذكره بالفتح ، وكذلك نسخة باريس ونسخة إيران . وعندنا من نسخ هذا الكتاب الخطية ثلاث : الواحدة منهن مسوده المؤلف نفسية ، وهى مضبوطة هناك بالفتح ، ونسخة قديمة حسنة الخط ، وهى بالفتح أيضاً ونسخة قديمة ثانية وهى أيضاً مصبوطة بالفتح . فما معنى هذا الافتئات على المؤلف رحمه الله ؟ فهذا ما لم نفهمه ! فضم الميم خطأ ولم يذكره أحد . وأما الصحيح فهو بفتحها لا غير .

٤٠ — كندة ٤١ — لخم ٤٢ — مدين ٤٣ — مَذْحِج[1] (وزان مجلس) ٤٤ — مُزَيْنَة ٤٥ — النمر ٤٦ — نمير ٤٧ — هُذَيْل ٤٨ — هُوَازِن ٤٩ — اليمامة ٥٠ — اليمن

على أن الحقيقة هى : أن لغات قبائل العرب تنيف على المائة ، لكنى لم أبوبها إلى الآن . ثم قد يكون فى القبيلة الواحدة لغتان ما عدا اللغة الفصحى ، وإذا طالعت فى تاج العروس ما جاء على الأنفحة فى مادة (ن ف ح) تصدق ما نقوله لك .

هذا ما عدا ما ورد فى القرآن من الكلم اليونانية والرومية والفارسية والأرمية (السريانية) ، والحبشية والبربرية ، والعبرية والقبطية . وقد طالعنا (القرآن) مراراً لا تحصى ولم نجد فيه كلمة واحدة تؤيد مدعاهم . وطالعنا (النهاية) لابن الأثير ، وهى فى أربعة مجلدات ، وتحوى أصدق الأحاديث النبوية الصحيحة ولم نجد شاهداً واحداً على ما يفتئتون . وكذلك لم نجد حرفاً واحداً فى شعر الأقدمين ، ولا فى كلام فصحائهم المفوهين ، ولا فى (القاموس) وهو فى أربعة مجلدات ، ولا فى (لسان العرب) وهو فى عشرين مجلداً ، ولا فى (تاج العروس) وهو فى عشرة مجلدات ضخام كبار ، ولا فى (الفائق) للزمخشرى وهو فى مجلدين كبيرين إلى غيرها (كصحاح) الجوهرى و (الكليات) لأبى البقاء و (ديوان الأدب) للفارابى ، وقد خططنا بالحمرة تحت كل كلمة ، علامة على أنا طالعنا تلك المصنفات حرفاً حرفاً وبكل تدبر وترو ، وذلك للمرة الثالثة أو الرابعة على كل تقدير ، ومن يشك يراجعنا فى هذا الأمر .

فإذا كان النحاة والصرفيون لم ينتبهوا إلى هذه الحقيقة الناصعة البيان ، أفهذا ذنبنا يا سادتى الكرام ؟

ثم إن أكبر نحاتهم غلط أغلاطاً كثيرة ، كبيرة ، قميرة تكاد تكون جريرة ، أريد بهذا الإمام سيبويه . فقد ألف (الكتاب) فنقده أبو بكر الزبيدى فى (كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مهذباً) وعنىَ بطبعه المستشرق الإيطالى إغناطيوس جويدى ، وطبعه فى رومة سنة ١٨٩٠ م

وقد وجدنا نحن أغلاطاً كثيرة للخليل بن أحمد الفراهيدى

(١) من يقل (بنى الغبر) فى (بنى العنبر) فانه يسود وجه التاريخ ويقلبه رأسا على عقب .

أستاذ سيبويه ، وليس الآن محل ذكرها هنا . ومثل ذلك قل على عدد جمّ من القدامى . أما لغة القرآن والأحاديث الصحيحة والمسموع من كلام بلغاء العرب كالوارد في البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان ، وكلاهما للجاحظ ، وكالوارد في الكامل للمبرد ، وكالمذكور في الأغاني ، وما كان من هذا القبيل فهو كالإبريز النقي الذي لا عيب فيه

فكيف نصدق بعد هذا أقوال هؤلاء الأئمة ومن اتبعهم من غير أن نحقق أقوالهم ونبحث عما فيها من الوهن والفهاهة ؟ فهل أوتوا التنزيل من السماء حتى لا يجسر أحد على تخطئتهم ، أو التعقيب عليهم ، أو الاستدراك عليهم ؟ وهل أوصد باب الاجتهاد في لغة الضاد ، كما أوصد بعضهم باب الاجتهاد في الدين ؟ — إن الله مع الصابرين !

شروط جمع أفعل فعلاء على فعل

لهذا الجمع القائم بنفسه ستة شروط وهي :

(الأول) أن يدل على (لون) ويكون (نعتاً) صرفاً لا منقولاً إلى الاسمية أو الوصوفية ، ولهذا تجمع أسود على أساود للحية الكبيرة فيها سواد ، وأجدل على أجادل للصقر ، وأدهم على أداهم للقيد ، إلى نظائرها . ومن النعوت الدالة على لون أو شِيَة وهي على فُعْل ما جاء في سورة المرسلات : « كأنه جمالة صُفْر » . وفي سورة طه : « ويوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » . وفي سورة فاطر : « ومن الجبال جدد بيضٌ وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود » . وفي سورة الكهف : « ويلبسون ثياباً خضراً من سندس » . وفي سورة الإنسان : « عاليهم ثياب سُنْدس خُضْرٌ » . إلى غيرها وهي كثيرة . ومما سمع عن فصحاء العرب قولهم : حُدُلٌ ككتب جمعاً لأحدل وحدلاء .. قالوا : هذا شاذ لأن أفعل وفعلاء من الألوان والعيوب والشيات يجمعان على فُعْل بالضم والسكون . إنما ثقّل بعضهم طائفة من الألفاظ من هذا القبيل على لغة لبعض قبائلهم ، فإنهم يثقلون ما هو مخفف من باب الشاذ ، ولا تقس عليه إذ لا يحق لك أن تفعله

(الثاني) أن يدل على (عيب) إلّم يدل على (لون) كما في سورة البقرة « صم بكم عمى فهم لا يرجعون »

(الثالث) أن يدل على (حلية أو زينة) إلّم يدل على عيب أو لون . كقولك : رجل أهيف ، وامرأة هيفاء ، ونساء هيف ورجال هيف ، ورجل أحور ، وامرأة حوراء ، وقوم حُوْر ، ونساء حور . ومنه في سورة الرحمن : « حور مقصورات في الخيام » . وفي سورة الطور : « وزوجناهم بحور عين »

(الرابع) أن يكون للنعت المذكر نعت مؤنث يقابله ومن لفظه ، وبالعكس ، فإن لم يكن كذلك ، لم يجُز تكسيره على فُعْل ، بل على وزن آخر سمع عنهم . تقول في جمع حسناء : حسان لأنه ليس لها مذكر من لفظها على وزن أفعل . ومنه في سورة الرحمن : « فيهن خيرات حسان » . وفيها أيضاً : « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان »

وتقول في جمع الصقلاء ، وهي المهضمة الخصر الصقال للسبب المذكور . وقالوا : أعوام عُوّم ، كسكر ، ومفردها عام أعوم ولم يقولوا سنة عوماء . قال العجاج :

من حرّ أعوام السنين العوّم

(الخامس) إذا أشير إلى الجمع المكسر بضمير مفرد مؤنث لكونه لغير العاقل ، أو جاور (فعلاء) وصف مفرد مؤنث يصح أن يكون للمفرد وللجمع على السواء ، فأنت مخير في أن تنعته بفعل أو بفعلاء ، وإذا كان اللفظ في الشعر والوزن يقتضي (فعلاء) فلا تخف من أن تزن اللفظ هذا الوزن . وكذلك يقال على الجمع المكسر لغير العاقل ، فيصاغ نعته على (فعلاء) إذا كانت هيئة ذلك الاسم المجموع بهيئة نعت مفرد مؤنث تقول : قنا خطية ملد ، وقنا خطية ملداء ، لأنك نصف تلك القنا بأنها (خطية) وبأن هذه (الخطية) ملد ، أو ملداء .

وما عدا ذلك لا يجوز لك أن تنعت الاسم المكسر بنعت مفرد مؤنث ، ولا سيما إذا كان الاسم المنعوت مجموعاً جمعاً مؤنثاً سالماً ، فلا تقول قط كريات بيضاء .

« يتبع »

الاب أنستاس ماري الكرملي
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد في ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٢ في القضية رقم ١٧٠٧ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد سالم على الفرنى س ٢٥ بقال عزبة عبد الله عمر تبع قافلة مركز أبي حمص بالغرامة ٥٠ جنيه والمصادرة والغلق والتعليق على باب محله والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً وشايا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

٤٢ ـ المصريون المحدثون

شمــــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر — الأخلاق

إن الضيافة فضيلة في الشرقيين تثير الإعجاب الحق للغاية . ويستحق المصريون من أجلها كل ثناء . ويطلق عادة على الزائر أو الضيف في مصر كلمة « مسافر » . وقل في مصر من يفكر في تناول طعامه وفي بيته غريب دون أن يدعوه إلى مؤاكلته إلا إذا كان المدعو من طبقة دنيا فيدعى إلى مائدة الخدم . ويعتبر امتناع المسلم عن الأمر بإعداد المائدة في الوقت المعتاد لأن زائراً دخل عرضاً ، مخالفة فاضحة للآداب . ويتناول أفراد الطبقة الوسطى عشاءهم أحياناً أمام أبواب دارهم عند ما يعيشون منفردين ، فيدعون كل عابر جليل الهيئة ليأكل معهم . ويفعل هذا عادة أفراد الطبقة الدنيا . والاستضافة في المدن نادرة لأن فيها وكالات أو خانات يستطيع الغرباء المبيت فيها . كما أن الحصول على الطعام فيها أمر هين . أما في القرى فكثيراً ما يضيف المسافرين شيخ القرية أو غيره من السكان ؛ وفي العادة أن يقدم الضيف من الطبقتين العليا والوسطى عطية إلى خدم المضيف أو إلى المضيف نفسه . ولكن يندر أن تقبل عطية الضيف في البادية . وللمسافر أن يستقرى ، بموجب السنة ، من يستطيع أن يقريه ثلاثة أيام . وتقدم لنا التوراة في قصة إبراهيم وإضافته الملائكة الثلاثة صورة كاملة للطريقة التي يستقبل بها الشيخ البدوي الآن الوافدين على مخيمه . فهو يأمر زوجه أو نساءه بعمل الخبز في الحال ، ثم يذبح نعجة أو غيرها ويطهيها على عجل ، ثم يحضر لبناً أو أي طعام آخر مهيّأ فيقدمهما لضيوفه مع الخبز واللحم الذي أعده . ويقف البدوي بين أيدي عظماء الضيوف أثناء تناولهم الطعام كما فعل إبرهيم في القصة المشار إليها . ويكاد أغلب البدو يؤثرون الضيم على أن يرضوا بالإساءة إلى ضيوفهم مدة الضيافة

كان من المعتاد أن ترى في القاهرة طوائف من « الطفيليين » الذين يستفيدون من ضيافة مواطنيهم ، فيعيشون على التطفل . إلا أن هــذه الطائفة نقص عددها أخيراً . وكان من المؤكد تقريباً أن يوجد بعض هؤلاء الأبطال حيث تولم وليمة ، ولا يمكن التخلص منهم إلا بنفحة من النقود . وهم يتجولون أيضاً في البلاد دون أن يملكوا فلساً واحداً ، فيتطفلون على المنازل الخاصة كلما احتاجوا إلى طعام ، ويسعون إلى ذلك بمختلف الحيل . وحُكي لي أن طفيليين عزما على الذهاب إلى مولد السيد البدوي في طنطا ، وهي على مسيرة يومين ونصف يوم من القاهرة سفراً هيناً ، فسار الطفيليان الهوينى حتى بلغا قليوب في نهاية اليوم الأول وتحيرا في الحصول على عشاء ، فذهب أحدهما إلى القاضي ، وبعد أن حيّاه قال : يا مولانا القاضي ... أنا في طريق من الشرقية إلى مصر ، ومعي رفيق في ذمته لي خمسون كيساً يحملها معه ويرفض أن يعطيني إياها ، وأنا في حاجة إليها الآن .. فقال القاضي : أين رفيقك ؟ فأجاب المدعي : هنا في هذه المدينة . فأرسل القاضي من يحضر المتهم ، وأمر في أثناء ذلك بإعداد عشاء طيب ، إذ كان يتوقع رسماً كبيراً في قضية كهذه ، وهذا ما كان يفعله قضاة الأرياف في مثل هذه الظروف . ودعا القاضي الخصمين إلى العشاء والمبيت قبل النظر في القضية . ونُظرت الدعوى في الصباح ، فسلم المتهم بوجود الخمسين كيساً معه وقال : إنه مستعد لردها لأنها تتعبه ، فهي ليست غير أكياس الورق التي يباع فيها البن ؛ ثم

قال : نحن طفيليان . فطردهما القاضي غاضباً

إن اعتدال المصريين في الطعام والشراب مثالي . فقلما رأيت منذ قدومي الأول مصرياً في حالة سكر ما لم يكن عازفاً في سامر أو راقصة أو عاهرة من السفلة . ويبدي المصريون احتراماً عظيما للخبز باعتباره سند الحياة[1] . ولا يجيزون ألبتة التبذير في أصغر قطعة منه إذا استطاعوا تجنب ذلك . وكثيراً ما لاحظت بعضهم يرفع قطعة الخبز إذا سقطت عرضاً في الطريق إلى فمه وجبهته ثلاث مرات ، ويفضلون وضعها على جنب لكي يأكلها كلب على أن يدوسها المارة . وقد روى لي كثيرون الحادث التالي الذي يدل على احترام المصريين للخبز إلى حد غير معقول ؛ ولكن ينبغي القول أن هذه الرواية يصعب تصديقها : كان خادمان يتناولان طعامهما جالسين لدى باب سيدها عند ما أبصرا مملوكا يتجه نحوهما راكباً في جمع من رجاله . فقام أحد الخادمين احتراماً للقادم العظيم ؛ فصاح القادم غاضباً : أيهما أحق بالاحترام : الخبز أم أنا ؟ ثم أشار بيده إلى الذنب إشارة معلومة دون أن ينتظر منه جواباً ؛ فضرب عنقه في الحال

يراعي المسلمون المصريون من الطبقتين العليا والوسطى النظافة بدقة . وتعتبر الطبقة الدنيا في مصر أكثر اعتناء بالنظافة من غيرها في أغلب البلدان الأخرى . ولعل المسلمين ما كانوا يهتمون بالنظافة إلى هذه الدرجة لو لم يأمر بها الدين . ويبدو مما سبق ذكره في الفصل الثاني من هذا الكتاب أن الواجب ألا نحكم على المسلمين ، نظراً لنظافتهم ، من تركهم أطفالهم في حالة قذرة . ولاشك أن الوضوء أمر حكيم ؛ فالصحة لا تكون في البلاد الحارة إلا بالنظافة . ويحرص المصريون حرصاً خاصاً على تجنب كل ما قرر الدين قذارته ونجاسته ؛ فيمتنع المسلمون عن شرب النبيذ لعدة أسباب أحدها أنه نجس . وأعتقد أنه يندر حمل مسلم على تناول قطعة من لحم الخنزير . وقد تحدثت مرة مع مسلم في موضوع الخنزير فقال إن الفرنج شعب يفترى الناس عليه كثيراً ؛ فلا شك أن المعروف عنهم أنهم يأكلون الخنزير ، ولكن بعض المفترين هنا يؤكدون أنهم لا يأكلون لحم هذا الحيوان النجس فحسب ، بل يأكلون جلده وأحشاءه والدم ذاته أيضاً . فلما اعترفت له بصدق التهمة انفجر يلعن الكفار ويدعو عليهم بالدَّرك الأسفل من النار

يدين أكثر القصابين الذين يبيعون اللحم إلى أهل القاهرة المسلمين باليهودية . وقد اشتكى منذ سنوات مضت أحد العلماء الكبار إلى الباشا من هذا الأمر والتمس وقفه . وسمع بذلك عالم آخر فتبعه وألح أمام الباشا في أن هذا العمل لا يخالف الشرع . فقال المشتكي : قدم دليلك . فأجاب الآخر : دليلي قوله تعالى : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه » . فاستدعى حينئذ رئيس القصابين اليهود وسأله هل يقول شيئاً قبل ذبح الحيوان ؟ فأجاب : نعم . نحن نقول دائماً مثل المسلمين : باسم الله الله أكبر . ولا نذبح الحيوان إلا بحز نحره . فصرف المشتكي حينئذ

ذهب رجل منذ أيام قليلة إلى خباز ليشتري فطيرة ، فرآه يسحب من الفرن طبقاً به لحم خنزير كان يشويه لأفرنجي ، فاستدعى الرجل في الحال شرطياً من أقرب قسم لأنه يعتقد أن من الممكن أن تكون الأشياء الأخرى لامست اللحم النجس فتلوثت . وألزم الشرطي قيادة الخباز إلى الضابط . فلم يجزع الخباز واحتج بجهله أن اللحم كان خنزيراً . واعتبر الضابط الحادث مهما يستدعي رفعه إلى ديوان الباشا . فرأى رئيس الديوان أن الأمر خطير يصعب الحكم فيه فأرسل المتهم إلى المحكمة . فاستفتى القاضي المفتي فأفتى أن كل طعام لا يكون نجساً في أصله تطهره النار مما يلوثه . فيعتبر طاهراً أي طعام وجد في الفرن ولو لامس الخنزير .

واستقدم الباشا من أوربا منذ مدة قصيرة لديوان حريمه طقماً من الحشايا والوسائد حشيت بشعر الخيل . ففتحت السيدات

(١) ويطلقون على الخبز لفظ « عيش » ومعناه الحياة

إحدى الوسائد ليتحققن من المادة التي تجعلها وثيرة على هذا الشكل اللطيف . فلما رأينها من شعر الكلاب تقززن أشد التقزز وأصررن على طرح الديوان بأكمله

واستخدم الباشا منذ سنوات قليلة رجلاً فرنسياً لتكرير السكر . فاستعمل هذا الأخير الدم لهذا الغرض . ومنذ ذلك اليوم قل من يجرؤ من المصريين على استهلاك السكر الذي يصنعه هذا الأفرنجي . فاضطر الباشا إلى تحريم استعمال الدم في مصانعه واستبدل به زلال البيض . وقد رأى بعض المصريين أن السكر الأوربي يفضل السكر المصري فاستعملوا الأول على اعتبار أن ما كان طاهراً في الأصل يمكن أن يطهر مرة أخرى بعد تلوثه . ولكني مضطر إلى استعمال السكر المصري غير المكرر في عمل الشراب لضيوفي إذ أن البعض يناقشني طويلاً في هذا الموضوع .

جرت العادة أن يصب المصريون على ملابسهم بعد غسلها ماء نقياً ناطقين بالشهادتين[1] . وقد ذكرت عند الكلام على الدين عادات أخرى في النظافة يراعي المصريون أغلبها . ولكن المصريين بالرغم من هذه العادات والمبادئ في الطهارة وتعودهم الاستحمام لا يغيرون ملابسهم الداخلية كثيراً بقدر ما تفعل بعض الشعوب التي تعيش في أقصى الشمال والتي لا تحتاج إلى ذلك كثيراً ، ويذهب المصريون إلى الحمام مراراً في ملابس قذرة يلبسونها بعينها ثانية بعد استحمام تام .

(يتبع) عدلي طاهر نور

(١) ويعبرون عن ذلك بقولهم : إن فلاناً « شاهد الحوائج » بدلا من « غسل الحوائج وتشهد عليها »

قصيدة مصر الجديدة

[مهداة إلى نادى الخريجين فى السودان ، وإلى جميع أصدقاء « الرسالة » هناك]

للدكتور زكى مبارك

[حدثنى الأستاذ الزيات أنى سأنشر قصيدة أتحدى بها جميع الشعراء ، وأقول إن هذا الزهو لم يخطر فى البال وأنا أنظم هذا القصيد ، فقد أوحته روحانية لا تسيطر على النفس إلا فى أندر الأحايين ، فجاء كما يراه أقباساً من الأشواق العواصف بالقلب والوجدان

وفتنة الشاعر بشعره مرض عرفته جميع الأجيال ، فليس من الغريب أن أقول إنى مفتون بهذا القصيد ، وأن أزعم أنى قبسته من جمر الوجود

أنا أكره أن تبيت قلوب وعيون بلا قرار ولا منام ، فكيف جاز أن أزلزل قلوباً وأؤرق عيوناً بهذا القصيد ؟

كان ذلك لأنى أريد أن يعرف أبناء هذا الجيل حقوق الشعر البليغ ، وأن يفهم قوم أن الكاتب الذى يعرفون هو الشاعر الذى يجهلون ، إن كان فيهم من لم يقرأ قصيدة الأسكندرية أو قصيدة بغداد]

تناسيتُكم عمداً كأنى سلوتكم — وبعض التناسى المعمد من صور الود
إذا اشتدّ إظلام العقوق تبلجتْ — مآثر تذكى نار معروفكم عندى
أمِثلىَ يَنسى ؟ آه مما اجترحتمُ — على الهائم الحيران فى حَومة الوردِ
أأنْ خفتُ عذّالى فأخفيت لوعتى — تظنوننى صباً أفاق من الوجدِ ؟
غرامى بكم لم يُبقِ قلباً بلاجوًى — وحبى لكم لم يُبقِ عيناً بلا سُهدِ
خلعتُ عليكم من هُيامى وصَبوتى — غلائلَ لم تُخلع على ساكنى الخلد

مضى ما مضى ، هل يرجعُ الدهرُ ما مضى ؟
وهل تتقون الحبَّ أو سالف العهدِ ؟
معاهد فى « مصرَ الجديدة » أصبحتْ
رسوماً من الأشجان أحرسها وحدى
أنسرى معاً فيها كما كان عهدنا
وعهدُ الهوى أشهى مذاقاً من الشهد ؟
أنقرأُها حرفاً فحرفاً كأنها — رسائلُ من ليلى المريضة أوهند ؟
تعالَوا نُعدْ ليلاتها الغُرَّ حسبةً — لحبٍّ قبضتمْ روحه وهو فى المهد
تعالَوْا تعالَوْا قبل أن يُمسىَ الهوى — تواريخَ لا تُغنى المحبَّ ولا تُجدى
تعالَوْا ... فلن ألقَى سنًا مثلَ نورِكم
ولن تستطيبوا جَنةَ الحبِّ من بعدى !

تعالَوْا ... ففى « مصرَ الجديدةِ » ما بها
من النَّرجس النعسان والفُلِّ والوردِ ...
مَثابةُ أحلامى ومهوَى مآربى — ومَنسكُ روحى فى الملامة والحمد
إذا جُلتُ فيها جولةَ الفتكِ أسلمتْ — مفاتحها فيما تُسرُّ وما تُبدى
وإن غبتُ عنها بعضَ ليلٍ تلفتتْ — تُسائل عن سرِّ القطيعة والصد
شوارعها عند الأصيل مَشارعٌ — لكلِّ محبٍّ من حبيبٍ على وعدِ
وأنفاسها بالليل كالمسك نفحةً — وظلماؤها كالخال فى صفحة الخد
فلا تذكروا نجداً أو الخيفَ بعدها — تسامتْ مغانيها عن الخيف أو نجد
ولا تطلبوا نِدًّا لها فى جمالها — فما لجمال الشمس فى الكون من نِدّ
أباريسُ أو برلينُ تحوى فُتُونها
إذا ازدهرتْ بالحسن كالكوكب السَّعدِ ؟
أفى لَنْدَنٍ شِبهٌ لها فى صِيالها — إذا صفّتِ الأرواح جنداً إلى جند ؟
تجمّعَ فيها الحسن من كلِّ أمة
كبغدادَ بين العُرب والفُرس والكُرد
ورقّتْ بها الأنفاسُ شتّى غرائباً — من الورد والريحان والضال والرَّند
هديرُ الأمانى فى الفؤاد هديرُها
إذا جدَّ جِدُّ « السَّبق » بالركض والشدّ (1)
وروّادها فى الصبح والعصر زادُهم — إذا ما استضافوها فنونٌ من الوجد
تَشابهَ فيها الليل والصبح فاعجبوا — لصحراء أضحت وهى من جنة الخلد
يجسِّد نور البدر فيها مُفضَّضاً — فتحسبه دراً يُساقطُ من عِقد
بكل مكانٍ أو بكل ثَنيةٍ — بأرجائها سحرٌ يُثار بلا عمد
وما بدرها بدر السموات وحدَه — ففيها بُدورٌ قد تَجلُّ عن العدّ
خذوا وصفها عنى فلى فى ضميرها — مكانُ الضريمِ الحرِ يكتنُّ فى الزَّند
ولا عيبَ فيها غير أنّ نسيمها — يزيد سعيرَ القلب وقداً إلى وقد
يُجدّدُ شعورى بالوجود فأغتدى — أحدَّ سلاحاً من قُوى آلة الرَّصد
أُسجل فيها ما أشاء من المنى — ومن خطرات الروح للشاعر الفرد
وأنقل عنها فى ضُحاها وفجرها — أفانينَ أشتاتاً من الهزل والجِد
إذا اجتمع السُّمار فيها رأيتَهم — ملائكَ توصى بالوثيق من العَقد
وإن طَربوا ليلاً وللقلب حقُّه — حسبتَهم جنّاً أُقيلوا من القيد
هُيامى بها لم يُبقِ للعقل من شدًى — بلاءٌ لأنى فى غمرة الوجد أستهدى
مدينةُ من هذى ؟ مدينةُ ساحرٍ — يرى طِيبها النفّاح أذكى من النَّدّ
مفتِّنة من هذى ؟ مدينة ناسك — يُسر من الإيمان أضعاف ما يبدى

(1) لمواسم السباق فى « مصر الجديدة » شهرة لا تحتاج إلى بيان

أرى الله فى مصرَ الجديدة كلما رأيت بها الأزهار تنظَم فى عقد[1]
أرى الله فيها ما أردتُ ومن يعشْ كعيشى بها يقرُب من الصمد الفرد
حُلوليّةٌ تزدار قلبى وخاطرى فيحيا بها عقلى ويقوى بها عَقدى
أكان الحلوليون يرأوْن ما أرى من الحسن فى قرب من الله أو بعد ؟
أمرَّ زمان فيه «مصرٌ جديدةٌ» بها فارس يأوى إلى فرس نَهدِ
أحبُّك يا مصر الجديدة فاسمعى نشيدى ولا تصغى إلى شاعر بعدى

تعالوْا تروْا قلبى على ما عهدتمُ وفاء إلى غدر وصفحاً إلى حقدِ
أنا العيلم العجّاج بالرفق والأذى أضل أحبائى إذا شئت أو أهدى
بقايا من الرُّوح المَريد تعودني فأرتدُّ صبًّا جائر الرأى والقصد
أحبكمُ ؟ ما ذا أقول ؟ لقد صَحَا
فؤادى وأبصرتُ الطريق إلى الرُّشد
عواطف جالت فى ضلال كأنها بوارق فى جُنح من الليل مسودّ
عشقتكم ؟ قد كان ذلك وانطوت صحائف خطتها يد العبث المردى
فلا تذكروا عهدى بسخطٍ ولا رضاً
تناسيت أو أُنسيت ما كان من عهدى

أضاليل أُزجيها لنفسى عُلالَةً عسانىَ أُطفى ما تَضرّم من وجدى
وكيف التناسى كيف ؟ ما أكذَبَ المنى
إذا حدثتْنى بالخلاص من القيد
أحبُّكم حبًّا أحرَّ من الوغى تؤجج فى سهل إلى الموت ممتد
أحبُّكم طوعاً وكرهاً وإننى لأخشى الذى تخشون من ذلك الإد
برغم الذى ألقاه من جور حكمكم ألوذ بكم عند الخصام وأستعدى
ملاعب من لهو أثيم تمرّدتْ فأمست كأقسى ما يكون من الجد
أرونىَ باباً للنجاة أروده فقد ضقت ذرعاً بالضلالة فى الرَّوْد
وكيف نجاتى كيف ؟ هيهات فالذى سقيتم به روحى سيسرع فى هدّى
دعانى الهوى ماذا أراد بىَ الهوى لقد حدّ من عزمى وقد فل من حدى
إذا رُمت أسباب المتاب تعرضت نسائم رياكم فأقلعت عن هَوْدى
أأنتم نسيتم كيف كنا ولم نَدَع مآربَ من قبل تُراد ولا بعد ؟
غرامي بكم كان الغرامَ ومحنتى بكم صيرتنى فى الأسى أُمّة وحدى
سلوا الليل فى مصرَ الجديدة هل رأى
على عهده بالحب أصدق من عهدى
وهل أبصر البدر المنير بأرضها أصحَّ أديماً من ضلالى ومن رشدى
وهل عرفت ظلماؤها فى سهوبها أحبَّ إليها من هيامى ومن سهدى

لقد كنت ألقاها وللشمس مَيلةٌ
إلى الغرب تستهدى النعاس وتستجدى
فأملأها وحياً وشعراً وصَبوَةً إلى أن تفيق الشمس من نومة الخود
أتلك ليالٍ لا تعود ولم أزل بحمد الهوى فى صوْلة الأسد الورد
جهلتم إذا كنتم تظنون مهجتى سَتَجنحُ يوماً للسلام وللبَرْد
هوايَ هو الجمر الذى تعرفونه وللجمر سلطان على الحجر الصَّلْد
سأرزأكم بالهجر والصد فارقبوا بلايا تُغاديكم من الهجر والصدّ
أكان غرامى غرّكم فظننتُم بأن ليس للاسراف فى الحب من حد
هو القول ما قلتم فإن صبابتى ستبلغ ما لا يبلغ الجمر من وقد
سنون تقضت فى اضطرام وحبنا يصاول بالعذْل المحمل بالنأْد[1]
فهل أفلحَ العذّال يوماً وفيهمُ وفيون يؤذيهم خبالىَ فى سهدى
مساويكم تبدو لقلبى محاسناً فواتنَ تُجزَى بالثناء وبالحمد
فمن أىّ واد للفُتون تفجّرتْ ينابيع هذا الحسن مرهوبة الورد
أمرُّ بها ظمآن والجوُّ قائظٌ فأسمع همساً من وعيد ومن وعد
تلوّح بالإشفاق عينٌ مريبةٌ لها ما لهذا الدهر من خاتل الكيد
وهل يعرف الحيران ضل طريقه بنحس رمى التلويح بالرفق أم سعد
أرى بيتكم منى قريباً وتارة أراه وأدنى منه أبنية السند
على قدر ما نلق من الوصل والجفا يقدر ما نلق من القرب والبعد
أذلك بيت أم كناس يهابه ويرهب غزلاناً به أفتك الأسد
فأيان أيانَ السلامة منكمُ وليس لطغيان الملاحة من صد
أعوذ بربّ الجنّ منكم وإننى لأعلم أن لا عوذ من سَورة الوجد
شقى وكفى أنى مُحِبٌّ محسَّدٌ يساق إليه الإفك فى صورة النقد
قضى حبكم أن أجرع اللوم طائعاً وأن أحسب التهيام فنًّا من المجد
إذا صرت فى غى الهوى ورشاده إماماً فقد تمت أياديكم عندى

أجيبوا : أكان الحب حلماً تبددتْ أشعته عند الإفاق من الرّقدِ ؟
أكان صفاكم لمحةً جاد بارقٌ بلألائها فى الليل يُفجَع بالرعد ؟
سأنساكمُ يوماً وللقلب رجعةٌ على جهله للراجحات من الجد
سأنسى هُيامى ثم أنسى غوايتى وكلٌّ ضرام فى الغرام إلى خمد
أجيبوا فلى رأىٌ يقرُّ إلى مدًى قرار الجراز العضب فى سُدف الغمد
أأنتم رضيتم أن تصير حياتُنا أفانينَ من نسك يكفنُ فى زهد ؟
لكم ما أردتم ، فاذهبوا ثمتَ اذهبوا إلى الوهد من وادى الخمود أو النجد
ولى ما أراد الحبُّ والحبُّ حاكم نرى جوْرَه فينا أبرَّ من القصد

(١) إشارة إلى قول بعض الصوفية بالحلول

(١) النأد : الحسد

بلادةُ أقوام تُعَدُّ رزانةً ... بكل زمانٍ عن هدَى الحب مرتدٍّ
جمال التماثيل الحسان جمالكم ... وليس لغادات التماثيل من رفد
فختامَ حتامَ الوفاء لصبوةٍ ... رددتم إليها سؤْلها أقبح الردّ

أحبايَ ضاقت بى بلادى وآدَنى
زمانى فأولانى من الكرب ما يُردى
إذا قلتِ أيام الشقاء إلى مدًى ... تعاقبنَ بالأنواء والبرق والرعد
وإن ظمئتْ روحى إلى الصفو صدّنى ... عن الصفو أقوامٌ جبلنَ على الحقد
ثلاثون عاماً أو تزيد قضيتها ... جواداً ببذل الروح للوطن الفرد
فما نلت حظا من جداه سوى الذى ... يَمنُّ به أهل الوشاية والكيد
أمن أجل هذا عشت ما عشت صابراً ... على وثبات العزم فى الزمن الجعد؟
بلادى بلادى، أنت ما أنت؟ إننى ... أُجرَّع فيك الصاب ينعت بالشهد
أأنت بلادى أنت؟ صدّقت، فاصدُقى
وعودك يوماً للفتى الصادق الوعد
تسابقنى فيك الأمانى خوادعاً ... كواذب لا تورى بحل ولا عقد
أُساهر فى ليلى كتابى ولا أرى ... لنفسيَ حظ الساهرين على النرد
فماذا دها الدنيا وماذا أصابها ... أسفّت فأمست وهى فى خسة القرد
إلى مَن أسوق الشكوَ والدهرُ ما أرى
تمائلَ فيه شامخ الفُور بالوهد
إلى الوطن الجانى شكوت كما شكا ... لديغٌ إلى الصم المؤرَّقة الرُّبد
أمثلىَ يؤذَى بالعقوق ولم يكن
له غير حفظ العهد فى الحب من وكد؟
بلادى، وما هانت علىّ مواطن ... أبى كان منها فى الذؤابة أو جدى
أيشق الثرى بالماء حتى يعودَه ... أطباء علامون بالجزر والمدّ
وأظمأ وحدى فيك والنيل ثائرٌ ... بروز الجسور الشمّ بالمزق والقدّ
بلادى، أمن جرم جنيت تحولت ... حياتى إلى وجه من العيش مرمدّ
لئن كان لى ذنب فذاك تولُّهى
بشرح الذى زُوِّدت فى الدهر من مجد
ستمضى الليالى ثم تمضى ولا يرى
جمالك أقوى من غرامى ولا وجدى
بلادى، أكانَ الحب نوراً تطاولت
عليه غيوم من عقوق ومن جحد
توحدت مقهوراً فما لىَ إخوةٌ ... ولا صحبة يقوى برفقتهم زندى
توحدت لا خِلٌّ أبثُّ شكايتى ... إليه ولا حِبٌّ يؤرقه سهدى
إذا آدنى الدهر اللئيم بجفوة ... تحوّلَ أهلوه إلى عصبة لُدٍّ
توحدت؟ لا، فالأسد يؤنسها الأسى
بوحشتها فى ظلمة الكتُب الجُردِ
ليصنع زمانى ما أراد فلن يرى ... سوى ساعد يلقاه بالبأس مشتدّ
بنانى الذى يبنى الجبال شواهقاً ... وليس لحصنٍ شاده الله من هدّ
فما بال أقوامٍ تهاوتْ حلومهم ... يعادون بنّاء الجبال بلا عِند[1]
يعدُّون أجناداً لحربى بواسلاً ... وقد جهلوا أنى سألقاهمُ وحدى
إذا اعتز بالله القدير مجاهدٌ ... أذل ألوف الظالمين من الجند

أحبايَ فى «مصر الجديدة» ما الذى
دعاكم إلى تكدير ذَيّاكم الوِرد
به جاد دهرٌ لا يجود فكنتمُ ... أضنَّ من الدهر المبخل بالرِّفد
سقاكم فروًّاكم غرامى ولم أجد
على عثرات الدهر والوجد من يُعدى
تمرُّ ليالٍ أو أسابيع لا أرى ... على شغفى إلا مواعيدَ لا تُجدى
عذرت أحبايَ الذين تصدُّهم ... فيافٍ سحيقاتٌ عن البر بالوعد
عذرت الأُلى بالكرْخ شطت ديارهم
فليس لهم عن عصمة الصبر من بُدّ
فما صبركم أنتم وبينى وبينكم ... خطًى هيناتٌ قد يقدَّرن بالعد
إذا صلصل الهتّاف أصبحت عندكم ... وإن وسوس الهتاف أمسيتم عندى
بخمسة أرقام تدار أراكم ... وتراوننى، أهونْ بذلك من جهد
تعالوْا، ولا تُصغوا لأقوال ناصح ... يسوق الكلام الحرَّ عن خاطرٍ عبد
نصيحةُ بعض الناس غشٌّ مقنَّع
وإشفاق بعض الناس ضرب من الحقد
عرفت زمانى فى بنيه ومن يُقمْ ... بعسبعةٍ يسبِقْ فلاسفة الهند
أنسمع لغو الحاقدين ولا نعى ... هدير حميّا الحسن ينصح بالوجد؟
هو الحسن فليأمر بما شاء ولتكن ... مشيئته، إنّا له أطوع الجند
سمعنا، ومن يهتف به الحسن يستمع ... ألا إنّ همس الحسن لحنٌ من الخلد
تعالوْا فأوقات الصفاء ذواهبٌ ... وليس لوقتٍ قد أضعناه من ردّ
تعالوْا سراعاً، لا تقولوا: إلى غدٍ ... غدٌ عند صدق الشوق دهر من البعد
وإلا ففى «مصر الجديدة» أنجمٌ ... زواهر ترجو أن يكون لها ودّى
أبغداد فى عهد الرشيد تأرّجت ... بأطيبَ من أنفاسها وهى فى عهدى

زكى مبارك

---

(١) بلا عند: بلا رأى



حول نسب الفاطميين

جاء في العدد (٤٨٤) من مجلة « الرسالة » الغراء كلمة تحت عنوان « حول نسخ الأحكام » تأثر فيها كاتبها بأقوال خصوم الفاطميين السياسيين من بني العباس ومن كان ينتمي إليهم من العلماء ، ولو أنه رجع إلى أقوال المنصفين فيهم كشيخ المؤرخين ابن خلدون لخفف شيئاً من غلوائه في أمر هؤلاء الفاطميين ، ولعلم أن نسبهم صحيح إلى اسماعيل بن جعفر الصادق رضي الله عنهما ، وقد يكون الطعن في دينهم كالطعن في نسبهم ، أثراً من آثار السياسة التي تبيح كل شيء في سبيل أغراضها ، وتذهب إلى أن الغاية تبرر الواسطة ، فتذيع الكذب بين الناس وتنصر الباطل على الحق

والظاهر بعد هذا كله أن القول بإعطاء الإمام حق نسخ الأحكام كما حكاه أبو جعفر النحاس ، غير ما يحكى عن بعض الاسماعيلية في الإمام السابع الذي ينسخ الشرائع ، لأن نسخ الشرائع يدخل فيه أصولها كالصلاة وغيرها ، أما نسخ الأحكام فالظاهر أنه خاص بالأحكام الجزئية التي تتأثر بالظروف والأحوال ، وتدعو الحاجة إلى نسخها بالاجتهاد لسبب من الأسباب ... (...)

كرملة الكرملي

أعود فأصحح للأب أنستاس ماري الكرملي أخطاء أخرى وقع فيها ؛ والأمر في هذه المرة أخطر ، فقد جمع إلى الأخطاء التاريخية أخطاء روحية ؛ ولقد قال « ربليه » قدس الله روحه : « إن علما بلا ضمير خراب للنفس » ؛ فما بالك إذا كان العلم زيفاً حمله الرافدان ؟

لو أن الأب أنستاس ماري الكرملي العالم النحرير والروحاني المتواضع زف إلى ما يقول « كرملة » يستسيغها الذوق لقبلتها ، ولكن كرملته حصرم تمجه النفوس . إن في نفسي إيماناً بأن العلم والروحانية لا ينزلان بنفس إلا هذباها ، ونحن كلما ازددنا توغلاً نحو آفاق المعرفة ازددنا دنوا من حدودها وإحساساً بتلك الحدود ، فتهدأ جوارحنا ويسكن غرورنا .

وأنا قد أقبل من رجل أن يعتز بماله إن كان صانعاً أو تاجراً ، وأما العالم فالزهو منه ممقوت

إن روح العلم الصحيح لا تعرف نغمات الكرملي . العلم تواضع كما أن الدين محبة ؛ وأين هذا من كلام الأب ؟ أنا لا أعرف التأكيد في أي شيء ولذا قلت — أيها الأب أنستاس ماري الكرملي — إذا صح هذا أو ذاك . والأب الجليل العالي الكعب في كل أمر لا بد قد قرأ أفلاطون ، ولا بد أن أستاذه قد قال له سنة ١٨٨٧ م إن موضع الجمال في أسلوب أفلاطون موضع السحر ، موضع السمو ، كثيراً ما يتركز في الحرفين An اللذين يضافان إلى الأفعال اليونانية لينقلا التأكيد إلى الاحتمال ، والأب الخطير يستطيع بلا ريب أن يترجم An بـ إذا صح الخ ...

ثم إنني أيها الأب أنستاس ماري الكرملي لم أستنجد بعلم الأستاذ كراوس كما أني لم أغتصب منك أسلابك العلمية الثمينة ، وإنما الذي حدث أن مجلة الرسالة لم تنشر مقالي كاملاً كما تستطيع أن تلاحظ ذلك من ابتدائه بنقط ، ولو أنها نشرته كاملاً لرأيت أني سلمت لك بأنك تعرف أسماء أبيقوس وتيودسيوس وغيرهما ممن لا يعتبرون إلا قطرة في بحرك اللج الأجاج . ولو أنها نشرته كاملاً لعلمت أني لم أنشر هذا المقال رداً عليك وأنا لا صبر لي على قراءة تحقيقاتك التي تبعدها عني روحك الوديعة الطاهرة ، وإنما أردت أن أحاج الأستاذ كراوس لأننا اختلفنا في هذا النص قبل أن ينشر الكتاب . وأنت أيها الأب أنستاس ماري الكرملي لا ريب مرهف الحس لطيف الذوق فكيف غاب عنك أن قولي : « اللهم إلا أن يكون لدى الأستاذ كراوس علم آخر ... الخ » لا يفيد طلب النجدة

سلمت إذن للأب الكبير بأنه قد عرف اسم أبيقوس ، ولكنني أنكرت عليه أن يعرف عنه أكثر من ذلك بدليل أنه زعم أنه روماني وهو يوناني . ولقد فطن إلى هذا الأب نفسه عند ما راجع دفاتره وراجع العلماء الأفاضل الذين يجتمعون معه فوضعو خطاً — كما يقول — تحت جملتي التي تحمل هذا المعنى ، ووضع الخط هذا وتأمين الأب على وضعه هو طريقة العالم

الفاضل في الاعتراف بخطئه . وإذن فقد كنت محقاً في أن أصحح له هذا الخطأ

بقيت مسألة الكراكي التي لم أعثر بها فقلت : « إنها خرافة لا نعلم عن نسبتها إلى قومودس وأبيقوس شيئاً » . وهذا حق ، فأنا لم أعثر بها في حياتهما ؛ وأعود فأكرر أنني لم أعثر بها ولا أقول لم أعثر عليها — كما يقترح اللغوي الكبير الأب الكرملي — لأن المعنى الذي أريد أن أعبر عنه هو أنني لم أعثر بها ، أي لم أقع عليها . وللأب الفاضل أن يظهر علمه — إذا أراد — في غير هذه التوافه ، وأن يتفضل بأن يترك للكاتب الحق في أن يتصرف في اللغة وفقاً للمعنى الذي في قلبه

وأما مسألة أبيقوس ونسبة الكراكي إليه ، فهذا لن يفيد الأب الكرملي في شيء ، لأن النص يقول : « إن تودورس أو قومودس ملك يونان كتب إلى أبيقس الشاعر أن يزوده بما عنده من كتب فلسفية » ... وإذا كان من الثابت أن قومودس قد عاش في القرن الثاني بعد الميلاد ، وأن أبيقوس الذي فرح الأب باكتشاف أحد أصدقائه لوجوده قد عاش في القرن السادس قبل الميلاد ، فإنه يكون بين الرجلين ثمانية قرون . أيريد الأب الشيخ أن يطير في طائرة عصرية ليجمع بين المصريين !

لم يكن لي أن أتجه نحو أبيقوس ما دمت قد رجحت كومودس

هذا ما يستحق الرد في كلام أوفى كرملة الكرملي ، وأما ما دون ذلك ، فالعلم منه بريء .

محمد مندور
مدرس بجامعة فاروق الأول

القضاء العشائري في العراق

كتاب قيم ألفه الشيخ فريق المزهر آل فرعون عضو البرلمان العراقي ورئيس عشائر الفتلة ، يبحث في الأصول والقواعد العشائرية والعادات المألوفة لدى القبائل العراقية ، ويتناول تدوين تلك الأحكام المرعية والعادات المتبعة التي ساروا عليها منذ ثمانمائة سنة ، كما ضمنه عادات العشائر العراقية وآدابهم وتقاليدهم وأساليبهم وسائر شؤون حياتهم الاجتماعية

والحق أن للقبائل والعشائر العراقية تاريخاً حافلاً بالعادات والتقاليد المتوارثة ، يحرصون عليها ويتواصون بالتمسك بها وعدم التفريط فيها ؛ ومن هذه التقاليد المرعية يتألف قانون غير مدون له قدسية سائر القوانين المدنية وحرمة بقية الأنظمة الاجتماعية ، يرجعون إليها فيما يتعلق بخلافاتهم وأحكامهم ومشاكلهم العديدة وفيما يخص سائر أمورهم الاجتماعية والشرعية والاقتصادية ، ولهم فيما يتفرع من هذه النواحي وفيما ينجم عنها من ملابسات ، أحكام وآراء وحلول تنطوي على البراعة والمهارة والطرافة بقدر ما تنطوي عليه من صرامة وشدة وقوة مستمدة من ذكاء وقاد وإحساس مرهف ، وحرص شديد يبلغ حد العصبية على محافظة المنمنات والنزعات العربية الخالصة

ولم يتهيأ إلى الآن من يعنى بدراسة هذه التقاليد والسنن ، وما تكون منها من أحكام ومن أصول أصبحت على مر الزمن قانوناً مرعياً نافذاً صارماً ، فيؤدي بذلك إلى التاريخ العربي خدمة كبيرة ، ويوسع مجالاً للحياة القبلية العربية في العصر الحاضر ، أن تأخذ مكانها في التدوين إلى جانب الحياة المدنية ، حتى انبرى لها الشيخ فريق المزهر آل فرعون ، وهو من هذه القبائل العربية الضاربة على ضفاف الفرات ، فسد فراغاً في خزانة الأدب والتاريخ العربيين ، بما قام به من وضع سجل تاريخي حافل في هذا الصدد ، وهو كتاب « القضاء العشائري » الذي بحث فيه « نظام دعاوى العشائر » ، وهو القانون الوحيد الذي يسير عليه القضاء الإداري في العراق ؛ وقضايا الحق المتنازع فيه قسمان : قضايا موضوعية ، وقضايا أصولية ، أو شكلية ؛ وقد وضع « العرف العشائري » قواعد خاصة لكل من الحالين ، وقد كانت هذه القواعد معمولاً بها في العراق لفض المنازعات بين القبائل منذ أقدم الأزمنة إلى الآن .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)